آليات التعدَد اللَغوي وحوارية الخطاب في الرواية عند ميخائيل باختين

The mechanisms of multilingualism in the novel and the discourse dialogue of Mikhail Bakhtin

أ. إبراهيم رحيم*

د.محمد بلعزوقي♣

تاريخ الإرسال: 2021/01/23	تاريخ القبول: 2021/06/01	تاريخ النشر: 2021/09/15

الملخص:

تعد الرواية جنسا أدبيا أكثر قربا إلى المجتمع، لأنها تعبر في خطاباتها عن مختلف الفئات الاجتماعية، وتتعدد لغاتها وأساليبها بتعدد وتنوع شخصياتها، وباختلاف أيديولوجياتها وآرائها حول العالم، كما تتجابه الشخصيات بلغاتها في علاقات حوارية تجمعها، وهذا ما يحرر الرواية من أحادية اللَغة وسلطتها إلى التعدَدية اللَغوية.

يسعى هذا البحث إلى تحديد مفهوم التعدَد اللَغوي الروائي في فكر الناقد الروسي "ميخائيل باختين" الذي وضعه كقوام لحوارية اللَغة، كما يسلط الضوء على أشكال التعدَد اللَغوي، ودوره في البناء الفني والدلالي للرواية و خلقه تعدَدا صوتيا سرديا.

الكلمات المفتاحية: التعدد اللغوي، الحوارية، ميخائيل باختين، التعدد الصوتي

Abstract:

The novel is a literary genre which expresses in its discourses the social groups. It has many languages and styles with the multiplicity and diversity of its characters, ideologies, and opinions. The novel's characters language meet in dialogue relations. So, the novel is liberated from monolingualism to multilingualism. The language is an essential tool in the artistic structure.

المؤلف المرسل: إبراهيم رحيم/ ibrarah2017@gmail.com

* - مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة البليدة 02 / ibrarah2017@gmail.com

♣ - مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، جامعة البليدة 02 / belazougui81m@yahoo.fr

This study focused on the concept of multilingualism in the novel according to Mikhail.

Then. On the forms of multilingualism and its role in the artistic and semantic construction of the novel and its creation of a narrative phoneme.
The keywords: multilingualism, dialogism, Mikhail Bakhtin, polyphony

*** *** ***

مقدمة

تمثل الرواية جنسا أدبيا مفتوحا على مختلف فئات المجتمع والأجناس، وحتى على مختلف اللغات واللهجات الاجتماعية، فهي كيان ووجود تتصارع فيه الشخصيات بأفكارها وتتفاعل فيما بينها، داخل إطار اللغة الروائية، فاللغة هي الوعاء الذي يصب فيه الروائي أفكاره، ويجسَد رؤيته من خلال مفردات وتراكيب أو تعبيرات تقريرية أو أساليب، فهي تغطي مختلف خطابات شخصيات الرواية وحواراتها وتعكس بظلالها على أفعالها ورؤاها حول العالم.

كما تعد لغة الرواية نسقا أدبيا من اللغات للمهن وللأجناس التعبيرية ولمختلف الفئات الاجتماعية، ولطرائق الكلام، التي تترابط وتنسجم فيما بينها في شكل حواري، مما يتيح تعددا لسانيا اجتماعيا للرواية، ينتج عنه تعددا صوتيا وذلك بتعدد الأصوات الاجتماعية داخل الرواية، فاللغة تعكس مختلف التحولات التي تطرأ على المجتمع، فهي تصور بشكل دقيق مختلف الصراعات الاجتماعية في الحياة اليومية، وهذا التنوع اللغوي يحرر النص الروائي من سلطة اللغة الواحدة، ومن أحادية الرؤية الضيقة، حيث إن الرواية تحيط بموضوعها عبر التعدد اللساني والصوتي والأسلوبي، فهي تجمع داخل بنائها وحدات لا متجانسة عبر علائق حوارية، مكونة بذلك عالمها الدَال.

لقد وضع ميخائيل باختين مفهوم التعدد اللَغوي داخل الرواية كقوام لحوارية اللَغة التي أولى لها مكانة أساسية في نظرية الرواية، معارضا ما طرحه الشكلانيون الروس والأسلوبيون المتأثرون بلسانيات دي سوسير الذين اعتبروا اللغة بناء مستقلا له قوانينه وضوابطه المكتفية بنفسها والتي يستحيل دراستها دراسة علمية دقيقة، فطرح باختين

مفهوم الحوارية كمؤسس لصورة اللَغة، وانطلاقا من هذا المفهوم، طرح التعدد اللَغوي الذي وسَع من دائرة الدلالة من داخل النص إلى خارجه، وحرَر النصوص من أحادية اللَغة إلى الانفتاح على التعددية اللَغوية باختلاف أشكاله وتنوع صيغه، والسؤال الذي نطرحه في هذا المجال: ما هي أشكال وتجليات التعدد اللَغوي في النص الروائي؟ وما دوره في البناء الفني والدلالي للرواية؟ وما علاقة ذلك بمفهوم الحوارية؟.

1 - التعدد اللَغوي الروائي:

إن علاقة الإنسان باللَغة علاقة وجود وكينونة، حيث إن " اللَغة هي التفكير، وهي التخيل، بل لعلها المعرفة نفسها، بل هي الحياة نفسها، إذ لا يعقل أن يفكَر الإنسان خارج إطار اللَغة، فهو لا يفكر، إذن، إلَا داخلها أو بواسطتها، فهي تتيح له أن يعبَر عن أفكاره فيبلغ ما في نفسه، ويعبَر عن عواطفه فيكشف عما في قلبه"[1].

حيث ينفي باختين قيام الرواية على لغة واحدة ووحيدة، ذلك أن خطاب المتكلم يتفاعل مع ملفوظات الغير، باختلاف فئاتهم، بحيث لا يمكن للمتحدث أن يستغني عن التعدد اللَغوي الذي يحيط به، "فاللغة تحيا فقط في الاختلاط الحواري بين أولئك الذين يستخدمونها"[2]، كما يعد هذا التعدد اللَغوي حجز الزاوية في بناء الخطاب الروائي.

يستقبل الكاتب الروائي داخل إبداعه الأدبي التعددية اللَغوية ومن ثمة الصوتية، اللَغة الأدبية وغير الأدبية، لأجل طرح مختلف المنظورات الأيديولوجية للشخصيات، مما يفيد في تكسير التعبير عن نوايا المؤلف، دون إضعاف عمله الإبداعي، " فالتعدد الصوتي والتعدد اللساني يدخلان إلى الرواية وينتظمان فيها ضمن نسق أدبي منسجم"[3]، فالرواية هي "التنوع الاجتماعي للَغات، وأحيانا للَغات والأصوات الفردية، تنوعا منظما أدبيا"[4].

كما أن التعدد اللَغوي على صلة وثيقة بفكرة باختين حول نشأة الرواية التي ردَها إلى أصول شعبية كرنفالية، فهي هجين من الأصوات واللَغات المختلفة المنسجمة، فالمؤلف الروائي "لا ينقَي خطاباته من نواياها ومن نبرات الآخرين؛ و لا يقتل فيها أجنَة التعدد اللساني الاجتماعي، و لا يستبعد تلك الوجوه اللسانية وطرائق الكلام، وتلك الشخوص

الحاكية المضمرة التي تتراءى في شفافية خلف كلمات لغته وأشكالها؛ و إنما يرتب جميع تلك الخطابات والأشكال على مسافات مختلفة من النواة الدلالية، النهائية لعمله الأدبي"[5]، حيث يستعمل الروائي لغات متعددة لأجل التخفيف من حدة التعبير عن مقاصده ونواياه خدمة لتيماته.

يرى باختين أن الرواية " نظام لغات تنير إحداهما الأخرى حواريا ولا يجوز وصفها ولا تحليلها باعتبارها لغة واحدة ووحيدة، لأن ذلك قد يسطح العمل الأدبي الروائي، ويطمس كافة أبعاده"[6]، فهذا التفاعل الحواري هو الذي يمنح للَغة مقومات وجودها.

إن التعدد اللَغوي يسقط التقيد والالتزام بالمعيارية البلاغية الخالصة التي تكلَس السرد، حيث يدخل النص الروائي رافضا في غالب الأحيان اللجوء إلى خطاب الكاتب المباشر والخالص، كما أنه في الرواية يترك المؤلف لغة المجتمع تعبر عمَا تحمله المواقف لمختلف الفئات الاجتماعية، ففي "الرواية الأصيلة يمكن للمرء أن يحس خلف كل تلفَظ طبيعة اللَغات الاجتماعية بمنطقها الداخلي وضرورتها ... وصورة هذه اللَغة في الرواية هي صورة الأفق الاجتماعي للعينة الأيديولوجية Idéologème الاجتماعية ملحومة بخطابها وبلغتها"[7]، كما "تتراءى وراء هذه اللغات كلها صور المتكلمين في لباسهم الاجتماعي والتاريخي المشخص"[8].

بهذا التعدد اللَغوي يتحول النص الروائي عند باختين إلى " تفاعل منظَم بين وحدات متنوعة من الأساليب، أو بتعبير أدق إلى صراع طبقي إيديولوجي من خلال اللغات واللهجات"[9]، حيث يتم حوار اجتماعي نوعي لهذه اللَغات داخل الرواية.

يمكن القول أن التعدد اللَغوي جوهر في الحياة الاجتماعية، ذلك أن الكلام المنتج متعدد ومتنوع وفق تنوع وتباين الأفراد والطبقات والأجيال والبيئات.

لقد أبرز باختين طرائق استحضار خطابات الآخر والتي تسمح بإدخال التعدد اللَغوي إلى الرواية، حيث يجعل هذا التعدد اللَغوي من خطاباتها ثنائية الصوت ذات صيغة حوارية، مما يجعل من الرواية مجالا لدمج وصهر التأثيرات المتبادلة لأصداء

الأصوات المتناقضة، فيعطي تعبير الكاتب صبغة غير مباشرة وذلك بتضمنه ونقله كلام ولغة الآخرين، "هذا ما نجده في الخطابات الهزلية والساخرة، والبارودية، وفي الخطاب التكسيري للسارد وللشخوص، وأخيرا في خطاب الأجناس التعبيرية المتخلَلة: فهي جميعها خطابات ثنائية الصوت، ذات صيغة حوارية داخليا، فيها جميعها، توجد بذرة حوار كامن غير منتشر، مركّز على نفسه، هو حوار صوتين، ومفهومين للعالم وحوار لغتين.."[10]

2 - مستويات التعدد اللغوي

إذن تتنوع أشكال وطرائق إدخال التعدد اللَغوي إلى الرواية حسب باختين، حيث يمكن حصرها في هذه الأنواع:

2 1 التهجين:

يعرّفه باختين بقوله :" إنه مزج لغتين اجتماعيتين داخل ملفوظ واحد، وهو أيضا التقاء وعيين لسانيين مفصولين بحقبة زمنية، وبفارق اجتماعي، أو بهما معا، داخل ساحة ذلك الملفوظ "[11]، هذا فيما يخص كيفية اشتغال مفهوم التهجين داخل الملفوظ و الخطاب، حيث يتم المزج بين وعيين لغويين مختلفين في خطاب واحد، كما يعرّفه أيضا بقوله: " ونحن نصف بالبناء الهجين ملفوظا ينتمي، حسب مؤشراته النحوية (التركيبية) والتوليفية، إلى متكلم واحد، لكن يمتزج فيه، عمليا، ملفوظان، وطريقتان في الكلام، وأسلوبان، و"لغتان" ومنظوران دلاليان واجتماعيان"[12]، كما يقرّ باختين " أن للبناءات الهجينة أهمية جوهرية بالنسبة لأسلوب الرواية"[13]، بحيث يكسبها تنوعا أسلوبيا.

تكون الهجنة الروائية نسقا من توحيد اللَغات، ذات مظهر اجتماعي ودلالي، ينطوي على رؤيات جديدة متباينة حول العالم، وذلك تبعا لاختلاف الشخوص وتباين فئاتهم ومواقعهم الاجتماعية، فميخائيل باختين يقرّ أنّ الخطاب هجين حيث تشكله خطابات الآخر، وذلك بتفاعله وتواصله معها عن طريق علائق حوارية، هذا ما جعل باختين " يدمج النص في التاريخ وفي المجتمع "[14].

لا تنصهر اللَغات واللَهجات كلية مع بعضها البعض، بل يجمعها التجاور الحواري داخل النَص السَردي، لتعطي وجهات نظر سوسيو لسانيَة مختلفة، " فإن للهجة الثنائية الصوت، القصدية، المصاغة في حوار داخليا، بنية تركيبية ذات خصوصية تامَة : نجد فيها أنه داخل ملفوظ واحد، يتَحد ملفوظان كامنان مثل جوابين لحوار ممكن"[15].

لقد أكَد ميخائيل باختين على الطابع الأدبي القصدي للتهجين، كما أنه ميَز بين نوعين من التهجين: التهجين القصدي الإرادي، والتهجين اللاإرادي، فصورة اللَغة في الرواية يجب أن تكون هجينا أدبيا قصديا فهي ذلك " الوعي بلغة من جانب لغة أخرى، إنها النور الذي يلقيه عليها وعي لساني آخر. ويمكن لصورة لغة أن تنبني فقط من وجهة نظر أخرى مقبولة على إنها بمثابة معيار"[16].

كما يؤكد باختين على إبراز المظهر الفردي لهذه الهجنة الأدبية، حيث يقول : " يكون المظهر الفردي ضروريا لتحيين اللَغة وربطها بكيان الرواية، كما أنه يكون وثيق الصلة بالعنصر السوسيو- لساني... وهي لا تشتمل فقط على وعيين فرديين، على صوتين، على نبرتين، بل على وعيين اجتماعيين لسانيين، وعلى حقبتين ليستا، في الحقيقة، مختلطتين هنا بكيفية لا واعية"[17]، وبالتالي هي هجنة اجتماعية وملموسة.

2 2 تعالق اللغات القائم على الحوار:

2-2-1 الأسلبة:

ينهض هذا النمط الأسلوبي القائم على تعالق اللَغات في إطار علاقات حوارية، حيث أن لغة واحدة محيَنة وملفوظة تدخل في علائق مع لغات أخرى، من خلال إضاءة متبادلة بدون توحيد مباشر للَغتين داخل ملفوظ واحد، حيث يصرَح باختين أن " الشكل الأكثر تميزا ووضوحا لهذه الإضاءة المتبادلة ذات الصيغة الحوارية الداخلية، هو الأسلبة (Stylisation) "[18].

تعني الأسلبة "إحدى الآليات التي يتوسَلها السارد للتعبير عن خلفيته الإيديولوجية، ومختلف الرؤى والتطورات التي يبديها حول العالم والعوالم حوله"[19]، كما يعرَفها باختين

بقوله: " إن كل أسلبة حقيقية هي تشخيص وانعكاس أدبين للأسلوب اللَساني لدى الآخرين. وفيها يقدَم، إلزاميا، وعيان لسانيان مفردان: وعي من يشخص (الوعي اللساني للمؤسلب) ووعي من هو موضوع للتشخيص والأسلبة. وتتميز الأسلبة بالضبط عن الأسلوب المباشر، بذلك الحضور للوعي اللساني (عند المؤسلب المعاصر وعند قرائه) الذي يعاد على ضوئه خلق الأسلوب المؤسلب، ومن خلاله يكتسب دلالة وأهمية جديدتين"[20]، أي أن الأسلبة تشترط حضور وعيين لغويين؛ وعي من يشخص، أي الوعي اللَغوي للمؤسلب، ووعي من هو موضوع الأسلبة بحيث لايتحدث المؤسلب عن موضوعه إلَا من خلال المادة الأولية لتلك اللَغة التي هي موضوع الأسلبة.

يعطي باختين هذا التعالق الحواري " وصفا آخر حين يجعله بمثابة إضاءة متبادلة للغات، وهي إضاءة لا يشترط فيها- كما هو الشأن في التهجين- حضور لغتين في ملفوظ واحد، وإنما تظهر في الملفوظ لغة واحدة، غير أنها مقدمة في صورة آنية، ولا يمكن بالطبع أن تحصل على هذه الصورة الآنية إلاَ إذا قدَمت بواسطة وعي لغة آنية خفية تعمل بشكل غير مباشر"[21].

" في الأسلبة يعمل الوعي اللساني للمؤسلب فقط بالمادة الأولية للغة موضوع الأسلبة، فيضيئها، ويدخل إليها اهتماماته "الأجنبية"، لكنه لا يدخل إليها مادته "الأجنبية" المعاصرة. والأسلبة بهذا المعنى، يجب أن يحافظ عليها من البداية إلى النهاية"[22]، أي أنه يحافظ على معجمها وحمولتها الفكرية الخاصة بها.

2-2-2 التنويع:

هو " نوع من الأسلبة يتميز بأن المؤسلب يدخل على المادة الأولية للَغة موضوع الأسلبة، مادته "الأجنبية" المعاصرة (كلمة، صيغة جملة،..).. متوخيا من وراء ذلك أن يختبر اللغة المؤسلبة بإدراجها ضمن مواقف جديدة مستحيلة بالنسبة لها "[23]، حيث يدخل بحرية مادة للغة الأجنبية في التيمات المعاصرة، ويضع اللَغة المؤسلبة موضع اختبار بحيث يدرجها في مواقف جديدة وغريبة بالنسبة لها.

يسمي باختين تنويعا، كل انتقال للحوارية من الأسلبة إلى التهجين حيث " يتم انتقاد الصوت الآخر مباشرة بلغة مجسَدة وحاضرة في الملفوظ"[24]، فالوعي اللساني المؤسلب يضيء اللَغة موضوع الأسلبة، ويدمج مادته اللَغوية وحمولته الفكرية.

2-2- 3 الباروديا (المحاكاة الساخرة):

كما تحدث باختين عن شكل آخر من أشكال الإضاءة المتبادلة بين اللَغات ذات الصيغة الحوارية الداخلية تسمى الباروديا، وهي "نوع أساسي من الأسلبة يقوم على عدم توافق نوايا اللَغة المشخصة مع مقاصد اللَغة المشخَّصة، فتقاوم اللَغة الأولى الثانية وتلجأ إلى فضحها وتحطيمها، لكن يشترط في الأسلبة البارودية ألا يكون تحطيم لغة الآخرين بسيطا وسطحيا، بل عليها " أن تعيد خلق لغة بارودية وكأنها كلَ جوهري مالك لمنطقه الداخلي وكاشف لعالم فريد مرتبط ارتباطا وثيقا باللَغة التي بوشرت عليها"[25].

وهي سخرية، حيث يسخر المتكلم من الحقائق والخطابات الجادة الرسمية بكلماته و ألفاظه بطريقة هازئة، كما أن الباروديا تقوم على التعارض المطلق بين نوايا اللَغة المشخَصة ونوايا اللَغة المشخَّصة، بحيث يسخر الوعي اللَغوي المؤسلب من اللَغة المشخصة وينتقدها عن طريق فضحها وتحطيمها شرط " ألاَ يكون الغرض تحطيما بسيطا وسطحيا للَغة الآخرين مثلما هو الشأن في الباروديا البلاغية، ولكي تكون منتجة، يتحتم على الباروديا بالضبط، أن تكون أسلبة بارودية "[26]، التي تبدو بالنسبة لباختين " أكثر أشكال الأسلبة شيوعا "[27]. في الأسلبة يمكن أن يمتزج صوتين اثنين (صوت المتكلم وصوت الغائب)، أمَا في المحاكاة الساخرة (الباروديا) يتعذر امتزاج صوتين.

وتتنوع المحاكاة الساخرة حسب ما يصرح باختين بقوله : " يمكن أن نحاكي محاكاة ساخرة طريقة نموذجية على المستوى الاجتماعي أو شخصية على المستوى الفردي، طريقة في الرؤية، في التفكير، في الكلام"[28].

2 3 الحوارات الخالصة:

يربط باختين الحوار الخالص "بما أسماه أفلاطون منذ زمن المحاكاة المباشرة أي حوار الشخصيات المباشر فيما بينها داخل الحكي، وحوار الرواية مرتبط ارتباطا وثيقا بحوار اللَغات الذي يرن داخل الهجنة وفي الخلفية الحوارية للرواية "[29]، وهو خطاب مباشر "منقول حرفيا بصيغة المتكلم، يأتي غالبا بعد فعل القول أو ما فيما معناه، ويكون مسبوقا بنقطتين وموضوعا بين قوسين مزدوجين"[30].

إذ تستمد هذه الحوارات الخالصة قوتها الدلاليَة وحركيتها الأسلوبيَة من حوار اللَغات والرؤى للعالم في الرواية "ففي مونولوجيات وحوارات شخصيات الرواية، تكون اللَغات الخالصة خاضعة لنفس مشكلة خلق صورة اللَغة"[31].

كما تزداد أهمية مفهوم "الحوارات الخالصة" في الرواية من خلال التطورات الجديدة في النقد الروائي "التي تسلط الضوء على دوره الجوهري في تشخيص الكلام الحقيقي الكاشف داخل الرواية. من هذه الزاوية يرى "جيليان لان ميرسي"، أن الكلام المتمظهر أساسا في الحوارات الداخلية، ليس مجرد "استراحة" للكاتب أو القارئ، أو تزيين للنص، وإنما هو قناة التلفظ الروائي، وملتقى الشفوي بالمكتوب، منحدر من الرحم العميق للخطاب الكلي للرواية"[32].

هذه هي الأساليب الثلاثة لتشييد صور اللَغات في الرواية، وهي من عناصر إدخال التعدد اللَغوي إليها، مما يثري وينوع النسيج الأسلوبي للَغة، إلاَ أنَها غالبا ما تتداخل فيما بينها، والغاية التي يراها "باختين" من هذا التنوع، هي خلق صورة اللَغة، أي خلق حوار داخلي بين اللَغات والأساليب والشخصيات والأفكار والإيديولوجيات، عوض اقتصار الرواية على لغة واحدة مباشرة وخطية، فهي "لا تتحدث بأسلوب واحد مباشر، ولكها تتحدث بصورة مشكَلة من أساليب مختلفة، تشخص مواقف متباينة، كما أنها – في الواقع – لا تكتب بواسطة اللَغة، وإنما بواسطة الدلالات والتصورات التي تحملها جملة من اللَغات"[33].

4-2 الأجناس المتخللَة:

يعتبر باختين هذا الشكل الأكثر جوهرية وأهمية فيما يتصل بإدخال وتنظيم التعدد اللغوي داخل النصوص الروائية، فبحكم انفتاح الرواية " تسمح أن ندخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية، سواء كانت أدبية (قصص، أشعار، قصائد، مقاطع كوميدية) أو خارج أدبية دراسات عن السلوكات، نصوص بلاغية وعلمية، ودينية، الخ). نظريا، فإن أي جنس تعبيري يمكنه أن يدخل إلى بنية الرواية، وليس من السهل العثور على جنس تعبيري واحد لم يسبق له، في يوم ما، أن ألحقه كاتب أو آخر بالرواية. وتحتفظ تلك الأجناس، عادة، بمرونتها، واستقلالها، وأصالتها اللسانية والأسلوبية "[34]، حيث تعتمد الرواية في بناء قالبها الفني على آلية التفاعل واستعارة النصوص، ما يمنحها تنوعا في المواد والأشكال، فينتج عن هذا الأخير تجددا وتغييرا مستمرا للشكل الفني، تبعا لتغير السياقات والوقائع.

تنهل الرواية معرفتها من مختلف المعارف الأخرى، حيث تجمع كل قديم وجديد، وتربط بينهما في تبادل وتفاعل حيين و دائمين " فكلمتها قديمة الميلاد، تشكلت في حوار الثقافات وأعادت تشكيل ذاتها في حوار اللَغات المتعددة مع اللَغة الوحيدة، وشخصيتها لا تقوم في بقدر ما تتوزع على شخصيات وتتمدد فيها شخصيات أخرى، وخطابها يستعير مواده من علم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس والأساطير وصولا إلى الفيزياء الحديثة. لهذا كله تكون الرواية الجنس الأدبي الأكثر شبابا بين الأجناس الأدبية الأخرى، تأخذ كل ما هو جديد وتلتقط الجديد الذي لم يتكون وتنبئ بجديد لا يراه غيرها، معلنة أنها تخاطب المستقبل قبل أن تحاور الحاضر، الذي تتغير فيه"[35].

تدخل الأجناس المتخللَة إلى الرواية حاملة معها لغاتها الخاصة، ومختلف أساليبها، مما يزيدها تنوعا في لغاتها، ويوسع من أسلوبها وصيغها " تأخذ لغات الأجناس خارج الأدبية الملحقة بالرواية، أهمية بالغة لدرجة أن إلحاقها بالنص الروائي (مثلا إدخال الجنس الرسائلي) يسترعي الانتباه ليس فقط في تاريخ الرواية وإنما كذلك في تاريخ اللَغة الأدبية بعامَة "[36]، فهذا التنوع اللَغوي الذي أدخلته الأجناس المتخللَة إلى الرواية يحمل معه اختلافا وصراعا فكريا، ينتج عنه تعددا في الرؤى ووجهات النظر للوجود، فصورة اللَغة في

الرواية " هي صورة منظور اجتماعي، وصورة عينة إيديولوجية اجتماعية ملتحمة بخطابها وبلغتها "[37].

تلعب الأجناس المتخللَة دورا بنَاء جد هام داخل الرواية فهي "تحدد شكل الرواية برمَتها (رواية- اعتراف، رواية- مذكرات، رواية- رسائل) وكل واحد من تلك الأجناس يملك أشكاله اللفظية والدلالية تمثَل مختلف مظاهر الواقع"[38]، فدورها جد كبير في مساعدة الرواية على التشخيص الأدبي للواقع، كونها تبدو مجردة من إمكانياتها في تشييدها للواقع، كون الرواية توحيدا تأليفيا لمختلف الأجناس التعبيرية فهي " تملك ملكة استثنائية على الاستيعاب: ففي حين أن الشعر والفلسفة لا يقدران على استيعاب الرواية، تقدر الرواية على استيعاب الشعر والفلسفة دون أن تفقد شيئا من هويتها التي تتميز على وجه الدقة بنزعتها نحو ضم كل الأنواع، وبقدرتها على هضم كل المعارف الفلسفية والعلمية "[39]، كما أن الأجناس المتخللَة تعمد إلى كسر نوايا المؤلف وحرفها.

5-2 **أقوال الشخصيات:**

إن أقوال الشخصيات الروائية التي تتوفر على درجات مختلفة من الاستقلال الأدبي والدلالي وعلى منظور خاص، تستطيع أن تكسر نوايا الكاتب بفعل تدخلاتها عن طريق الحوار داخل الرواية، فهي "بالنسبة له، إلى حد ما، بمثابة لغة ثانية، فضلا عن ذلك فأقوال شخصية روائية تكاد تمارس دائما تأثيرا على خطاب الكاتب، فترصَعه بكلمات أجنبية، وتنضَده تراتبيا، وإذن تدخل إليه التعدد اللساني"[40]، وبالتالي يعد دور الشخصية عامل تنضيد تراتبي للَغة الرواية.

فالرواية حسب باختين "تستعمل استعمالا مزدوجا جميع الأشكال الحوارية الأكثر تنوعا لنقل كلام الآخرين، والتي تتشكل داخل الحياة العادية، وفي العلائق الإيديولوجية غير الأدبية. أولا، جميع تلك الأشكال تقدم وتستنسخ داخل الملفوظات- المألوفة والايديولوجية- لشخصيات الرواية وأيضا للأجناس المتخللَة: المذكرات الخصوصية، الاعترافات، مقالات صحف، الخ"[41].

حيث يتم إدخال التعدد اللَغوي إلى النصوص الروائية، عن طريق إدخال لغات وملفوظات الشخصيات الروائية عبر قناة الحوار، فتخلق ما يسميه باختين "بالمناطق الخاصة" التي " تتكون من أنصاف – خطابات الشخوص، ومن مختلف أشكال النقل المستتر لكلام الآخرين، ومن ملفوظات خطاب الآخر المبعثرة هنا وهناك، سواء كانت هامَة أو غير هامَة، ومن إلحاق عناصر تعبيرية بخطاب الكاتب تكون غير خاصة به، هذه المنطقة هي شعاع الفعل بالنسبة لصوت الشخصية مختلطا، على نحو أو آخر بصوت الكاتب"[42].

وبهذا نكون قد عرضنا مختلف أشكال التعدد اللَغوي في الرواية عند باختين، فانطلاقا من هذه الوسائل المتاحة، يستوعب الروائي جميع اللَغات المتداولة في الحياة اليوميَة، كما أن هذه الأشكال تفتح الرواية على أحداث مختلف اللَغات والخطابات المستحدثة.

4. خاتمة:

من خلال هذه القراءة في الفكر النقدي لباختين وقفنا عند مفهوم التعدد اللَغوي الروائي، وذلك باستجلاء أنماطه وصوره وأشكاله، وكيفية دخوله إلى الرواية، وقد خرجنا بجملة من النتائج نجملها فيما يلي:

–لا توجد اللَغة بمعزل عن التواصل والتفاعل مع لغات الآخرين، وهي ملتبسة بالإيديولوجيا وبمختلف المعطيات الاجتماعية والثقافية والتاريخية، هذا ما يكسبها خاصية التعدد.

–إن التعدد اللَغوي هو حجر الزاوية في بناء الخطاب الروائي والذي لا يمكن أن يجسَده متكلم واحد، لذلك لابد من متكلمين آخرين تكون لهم أصداء مختلفة ومتناقضة يتجلى من خلالهم هذا التعدد اللَساني، كونه يقوم على مبدأ الحوارية.

–تكتسب التعددية اللَغوية خلفية اجتماعية، فهي مجسَدة عبر شخصيات روائية تتعايش فيما بينها، تربطها خلافات وتناقضات في الرؤى والأفكار حول الكون، حيث تتعدد اللَغات تبعا لتعدد الشخصيات الروائية وتباين أفكارها و آرائها.

–تهدف الأساليب الثلاثة المتصلة بإبداع "صورة اللَغة" إلى تنويع النسيج الأسلوبي اللَغوي داخل الرواية، فهي وسائل قوية لخلق صور اللَغة، بدل اللَغة المباشرة في التعبير.

–تخلق الأسلبة في النص الروائي صورة للَغة أكثر صفاء وأكثر اكتمالا فنيا، وأكثر جمالية.

–تتنوع الأشكال التي تدخل وتنظم التعدد اللَغوي داخل الرواية حسب باختين، يمكن أن نحصرها في هذه الأنواع: التهجين، تعالق اللغات القائم على الحوار، الحوارات الخالصة، أقوال الشخصيات، الأجناس المتخللَة.

كان طرح باختين حول التعدد اللَغوي الروائي نظريا أكثر منه تطبيقيا، كما نجد تداخلا بين مختلف المفاهيم وإحالة بعضها على بعض، مما يصعب تحديد الفروق الدلالية بين أساليب إدخال التعددية اللَغوية الى الرواية بشكل دقيق، ويظهر ذلك على مستوى التطبيق والتحليل للأعمال الروائية.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

5. الهوامش:

1- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998، ص: 93.

2- ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دارتوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص: 267.

3- ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص: 68.

4- المصدر نفسه، ص: 39.

5- المصدر نفسه، ص: 67.

6- وائل بركات: نظرية النقد الروائي عند ميخائيل باختين، مجلة جامعة دمشق، المجلد 14، العدد 3، 1998، ص: 57.

7- تزفيتان تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1996، ص: 124.

8- ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1988، ص: 114.

9- صالح مفقودة: دراسات في الأدب الجزائري، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب، الجزائر،2002، ص:172.

10- ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ص:17.

11- المصدرنفسه، ص120.

12- المصدرنفسه، ص 76.

13- المصدرنفسه، ص76.

14- Kristeva julia, semiotique, recherche pour une semanalyse, End du seuil ; paris ; 1996 ; p : 87.

15- ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ص 121.

16- المصدرنفسه، ص: 120.

17-المصدرنفسه، ص: 121.

18- المصدرنفسه، ص: 122.

19- سليمان قوراري: جماليات الحوارية في الرواية المغاربية، مخطوط أطروحة دكتوراه، جامعة وهران،2012، ص: 379.

20- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ص: 122.

21- المصدرنفسه، ص: 87، 88.

22-المصدرنفسه، ص: 123.

23- المصدرنفسه، ص: 18.

24- حميد لحميداني: أسلوبية الرواية مدخل نظري، منشورات سيميائية أدبية لسانية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010، ص: 89.

25- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ص: 18.

26- المصدرنفسه، ص: 123.

27- حميد لحميداني: المرجع السابق، ص:90 .

28- ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص: 282، 283.

29- ينظر: حميد لحميداني: أسلوبية الرواية مدخل نظري، ص: 90.

30- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2002، ص:91.

31- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ص: 124.

32- محمد بوعزة: حوارية الخطاب الروائي، التعدد اللغوي والبوليفونية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2016، ص:46.

33- حميد الحمداني: أسلوبية الرواية مدخل نظري، ص: 91.

34- ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط1، 1987، ص88.

35- فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1999، ص 81-82.

36- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ص 89.

37- المصدر نفسه، ص 118.

38- المصدر نفسه، ص 88-89.

39- ميلان كونديرا: فن الرواية، ترجمة بدر الدين عرودكي، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 1991/12/16، ص 31.

40- ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ص: 84.

41- المصدر نفسه، ص: 117.

42- المصدر نفسه، ص: 84.

6- قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

- ميخائيل باختين : الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر، القاهرة، مصر، ط1، 1987.
- ميخائيل باختين، شعرية دوستويفسكي، ترجمة: جميل نصيف التكريتي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.
- ميخائيل باختين: الكلمة في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط1، 1988.

المراجع:

- حميد لحميداني: أسلوبية الرواية مدخل نظري، منشورات سيميائية أدبية لسانية، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2010.
- سليمان قوراري: جماليات الحوارية في الرواية المغاربية، مخطوط أطروحة دكتوراه، جامعة وهران،2012.

- صالح مفقودة: دراسات في الأدب الجزائري، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب، الجزائر،2002.
- عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1998.
- فيصل دراج: نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1999.
- لطيف زيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2002.
- محمد بوعزة: حوارية الخطاب الروائي، التعدد اللغوي والبوليفونية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2016.

المراجع المترجمة

- تزفيتان تودوروف: ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة: فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1996.
- ميلان كونديرا: فن الرواية، ترجمة بدر الدين عرودكي، مجلة العرب والفكر العالمي، العدد 1991/12/16.

قائمة المجلات :

وائل بركات: نظرية النقد الروائي عند ميخائيل باختين، مجلة جامعة دمشق، المجلد 14، العدد 3، 1998.

Kristeva julia, semiotique, recherche pour une semanalyse, End du seuil ; 1996paris ;